

الدراسة التحليلية لظاهرة التقديم والتأخير من خلال النصوص الفقهية

AN ANALYTICAL STUDY OF THE PHENOMENON OF FRONTING AND DELAYING IN FIQH TEXTS

Md Noor Hussin^{1*}, Ahmad Redzaudin Ghazali²

¹ Pensyarah Kanan, Universiti Islam Selangor (UIS), mdnoor@uis.edu.my.

² Pensyarah, Universiti Islam Selangor (UIS), redzaudin@uis.edu.my.

* Md Noor Hussin

Artikel diterima: 13 Mei 2025 | Selepas Pembetulan: 26 Mei 2025 | Diterima untuk terbit: 26 Mei 2025

ملخص البحث

من الظواهر اللغوية الواردة في النصوص الفقهية التقديم والتأخير، وعدّ القدامى هذه الظاهرة مظهر من مظاهر الشجاعة العربية، وفيها إقدام على مخالفة لقريضة من القرائن المعنوية، اعتماداً على القرائن الأخرى، ووصولاً إلى دلالات تجعلها عبارة راقية رائعة. وتهدف المقالة إلى استخراج هذه الظاهرة في النصوص الفقهية في كتاب المجموع للإمام النووي، ودراستها دراسة لغوية. وتتم دراستها باستخدام المنهج الوصفي والتحليلي.

الكلمات المفتاحية

الظواهر اللغوية، التقديم والتأخير، النصوص الفقهية، الدلالات، المنهج التحليلي.

Abstract

Among the linguistic phenomena found in fiqh texts is taqdim wa ta'khir (fronting and delaying). The classical Arab scholars considered this phenomenon a reflection of the eloquence and boldness of the Arabic language, as it involves deliberately overriding certain semantic cues in favor of others, resulting in expressions that are both refined and impactful. This article aims to identify and analyze this phenomenon

in the fiqh texts found in al-Majmū' by Imām al-Nawawī. The study employs both descriptive and analytical methods to explore the linguistic features of this phenomenon

Keywords

The linguistic phenomena, taqdim wa ta'khir (fronting and delaying), fiqh texts, semantic, descriptive and analytical methods.

١. المقدمة

من الظواهر اللغوية الواردة في النصوص الفقهية. وعد القدامى هذه الظاهرة مظهر من مظاهر الشجاعة العربية، وفيها إقدام على مخالفة لقريئة من القرائن المعنوية، اعتماداً على القرائن الأخرى، ووصولاً إلى دلالات تجعلها عبارة راقية رائعة. (سيبويه، ١٩٧٧)

والقيمة النحوية للتقديم والتأخير مرتبطة بحسن استعماله، وعلى مقتضى الحال، والوعي باستعماله في موضعه، وإلا كان استعماله عبثاً، ولا قيمة له، بل ربما يؤدي إلى إفساد المعنى. والأغراض الناتجة من ظاهرة التقديم إظهار ثرائها وكثرة فوائدها (صالح الشاعر، ٢٠١٣). وعبر الجرجاني ظاهرة التقديم والتأخير: "هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتُرُّ لك عن بدیعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطفُ لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان". (الجرجاني، ٢٠٠٤)

وقد ورد في كتاب النحو العربي لأغراض المتقدم لحنفي دوله (٢٠٠٠) أن لكل لغة ترتيبها الخاص وفق نظامها المؤلف؛ ولكن، هذا الترتيب معرض للتغيير. ولذلك، بحث النحاة قضية التقديم والتأخير وتأثيرها على التراكيب من حيث الأعمال أو الإلغاء، ومن حيث التغيير الدلالي. ووجد الباحث تنبيهاً قدمه حنفي دوله، وهو أن من المهم معرفة الترتيب في البنية العميقة، ثم البحث عن القوانين التي تحكم تحول الترتيب إلى أنماط مختلفة في الكلام الفعلي على السطح. ومعلوم أن الألفاظ تتبع المعاني، والمعاني تتقدم على الألفاظ. (نصرالدين إبراهيم، ٢٠٠٢).

٢. مفهوم التقديم والتأخير وأحواله.

يقصد بالتقديم والتأخير أن تخالف عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق، فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم، نحو تقديم الخبر على المبتدأ، أو تأخير المفعول به على الفاعل (السامرائي، ٢٠٠٧). ويمكن تقسيم أحوال التقديم والتأخير إلى قسمين؛ الأول: تقديم اللفظ على عامله نحو: (خالدا أعطيت)، والثاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة البقرة: ١٧٣. فتقديم اللفظ على عامله مثل تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظرف والجار والجرور على فعلهما، وتقديم الخبر على المبتدأ ونحو ذلك. وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص (المسيري، ٢٠٠٥). وأما تقديم اللفظ وتأخيره على غير العامل، فإن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول لوظيفة العناية والاهتمام. فما كانت العناية أكبر قدّمت في الكلام. والقرآن الكريم أعلى مثل في ذلك من حيث ورود تقديم اللفظ مرة وتأخيره مرة أخرى، حسب السياق والمقام.

ولذلك، توصل الباحث إلى تقديم السماء على الأرض مرة، وأخرى تقديم الأرض على السماء، ومرة تقديم الإنس على الجن، وأخرى تقديم الجن على الإنس، وغيرها، فكل ذلك بحسب ما يقتضيه القول وسياق التعبير. ومن أهم أسبابه التقديم والأولية، نحو عاد وثمود، والفضل والشرف، نحو ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ سورة النساء: ٦٩، والقلة والكثرة، نحو ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ سورة البقرة: ١٢٥.

وفي وجهة نظر أخرى تتعلق بأحوال التقديم والتأخير، يرى المسيري أنها لا تخلو عن أحوال أربعة (المسيري، ٢٠٠٥)؛ أولاً: ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ، نحو تقديم الجار في قوله تعالى: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ تَأْوِرَةٌ﴾ سورة القيامة: ٢٢، وثانياً: ما يفيد زيادة في المعنى فقط، نحو تقديم المفعول في قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ سورة الزمر: ٦٦، وثالثاً: ما يتكافأ

فيه التقديم والتأخير، ورابعاً: ما يختل به المعنى، ويضطرب، نحو تقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول وغيرها.

٣. مواضع التقديم والتأخير من كتاب المجموع.

اكتشف الباحث مواضع عديدة تطرق فيها الإمام النووي إلى ظاهرة التقديم التأخير، ومنها ما بينها مباشراً، ومنها ما لم يوضحها مباشراً، وهي موجودة. وهذه الظاهرة على النحو الآتي:

أ. قول الإمام في تقديم الخبر على المبتدأ نحو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (في أربع وعشرين من الإبل فما دونها الغنم): "هذه جملة من مبتدأ وخبر، و(الغنم) مبتدأ، و(في أربع وعشرين) خبر مقدم، قال بعض العلماء: الحكمة هنا في تقديم الخبر أن المقصود بيان النصاب، والزكاة إنما تجب بعد وجود النصاب، فكان تقديمه أحسن" (النووي، ٢٠٠٢).

ب. تقديم الجار والمجرور على الفاعل أو المفعول به كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم)، فقال: "قوله (نار) بالنصب على المشهور الذي جزم به المحققون، وروي بالرفع على أن النار فاعلة، والصحيح الأول، وهو الذي اختاره الزجاج والخطابي والأكثر" (النووي، ٢٠٠٢).

ج. يأتي الفاعل متأخراً في قوله (ومن بلغت عنده من الإبل صدقة الجذعة)، كما في قوله: "لفظ (صدقة) مرفوع غير منون بل مضاف إليه إلى (الجذعة)" (النووي، ٢٠٠٢).

د. ورد تقديم المفعول على الفاعل، وذلك في تعليقه على قول سيدنا عمر بن الخطاب (إليك تعدو قلقلها وضيئها... مخالفنا دين النصراني دينها): "قوله (مخالفنا دين النصراني دينها) بنصب دين النصراني ورفع دينها" (النووي، ٢٠٠٢).

هـ. تقديم الجار والمجرور على المفعول به، كما في قوله في مناقشة حكم الترضي والترحم على الصحابة والتابعين: "وقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة التوبة: ١٠٣، أي تطهرهم بها من ذنوبهم، والقراءة

المشهورة التي قرأ بها القراء السبعة ﴿تطهرهم﴾ برفع الراء على أنه صفة لا جواب، وقرئ في غير السبع بالجزم على الجواب" (النووي، ٢٠٠٢).

و. قوله في فرع غسل الرجلين في الوضوء: "ومنه في القرآن الكريم ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ سورة هود: ٢٦، فجر (أليما) على جوار (يوم) وهو منصوب صفة لعذاب" (النووي، ٢٠٠٢).

الرقم	التوجيه النحوي	الجزء	الصفحة
١-	هذه جملة من مبتدأ وخبر، و(الغنم) مبتدأ، و(في أربع وعشرين) خبر مقدم	٦	٥٣١
٢-	قوله (مخالفا دين النصارى دينها) بنصب دين النصارى ورفع دينها	٩	١٨٣

الجدول: التقديم والتأخير

التحليل النحوي:

لاحظ الباحث أن هناك مسائل تتعلق بالتقديم والتأخير، ومنها تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول على الفاعل، وتقديم الجار والمجرور على الفاعل أو المفعول به.

أ) المسألة الأولى: تقديم الخبر على المبتدأ

لقد نبه الإمام النووي إلى المبتدأ المؤخر كما تقدم الذكر في توضيحه لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (في أربع وعشرين من الإبل فما دوخها الغنم في كل خمس شاة). والأصل في القاعدة النحوية تقديم المبتدأ وتأخير الخبر؛ ولكن يجوز تقديم الخبر حين لا يحصل الضرر بذلك، بل يرى النحاة أنه لا يجوز الابتداء بالنكرة وكان الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً. (ابن عقيل، ١٩٩٦)

واشترط النحاة شروطاً في تقديم الخبر وتأخير المبتدأ، ومنها إذا كان الخبر من الألفاظ الذي لها حق الصدارة، وإذا كان المبتدأ محصوراً بـ: (إلا)، وإذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة، وإذا كان

في المبتدأ ضمير عائد إلى الخبر. (معروف، ٢٠٠٢) ويرى محمد عيد أن يتقدم المبتدأ أو يتأخر الخبر حتما إذا كان هذا الترتيب وحده هو الذي يهدي في التعرف على المبتدأ والخبر، كما يرى أن يتقدم الخبر على المبتدأ حتما إذا وجد في الجملة دلائل لفظية تحدد موضع الخبر أولا، وموضع المبتدأ أخيرا (عيد، ١٩٨٩).

وفيما يتعلق بقول الإمام النووي في تقديم الخبر (في أربع وعشرين)، فالمسألة واضحة؛ لأن الخبر يتقدم على المبتدأ إذا يقع فيها ظرف أو جار ومجرور. وكان التقديم هنا جوازا لأن المبتدأ معرفة، وإذا كان المبتدأ نكرة فتقدمه وجوبا (عبد الغني، ٢٠٠٠). وأكد ابن عقيل وغيره أنه يجب تقدم الخبر إذا كان المبتدأ نكرة ليس لها مسوغ إلا تقدم الخبر، وهو ظرف أو جار ومجرور (المكارم).

ورأى علي أبو المكارم أنه لا يجوز العدول عن الأصل، أي تقدم المبتدأ على الخبر؛ إلا لسبب بلاغي. ومن الضروري التأكيد أن المعنى المستفاد في حالة تقدم الخبر يختلف عن المعنى الحاصل في حالة تأخره. ولعل أهم الفروق التي تلمسها الجرجاني تتمثل في أن تقديم المبتدأ يفيد نوعا من تأكيد الإسناد إليه أو بدل على معنى الحصر فيه؛ أما تقديم الخبر ففضلا عن خلوه من هذا التأكيد والحصر لأنه يشير إلى أهمية المسند.

ومن جانب آخر، توصل الباحث إلى الأسباب الوظيفية من تقديم الخبر على المبتدأ (الشاعر، د.ت)، ومنها:

أولاً : الافتخار، نحو (ماليزي أنا)، فتقديم الخبر هنا يفهم منه معنى لا يفهم بتأخيره، وهو الافتخار، فيجب التقديم مراعاة للمعنى والغرض.

وثانياً : التفاؤل أو التشاؤم، نحو (ناصر علي)، و(مضروب أحمد).

وثالثاً : إفادة التخصيص، نحو قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ سورة الصافات: ٤٧.

ورابعاً : تأكيد الاهتمام به، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْذُونَا عَمَّا كَانَ يَعْبَدِ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ سورة إبراهيم: ١٠.

وخامسا: إبداء التعجب، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَنْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَتِكَ وَأَهْجَرَنِي مَلِيًّا﴾ سورة مريم: ٤٦.

وسادسا: إثارة الذهن وتشويق السامع، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ سورة آل عمران: ١٩٠.

وسابعاً: مراعاة توازن الجملة والسجع، نحو قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ سورة الحاقة: ٣٠-٣١.

وفي هذا الصدد، يرى الباحث أن تقديم الخبر (في أربع وعشرين) في قوله (في أربع وعشرين من الإبل فما دونها الغنم في كل خمس شاة)، يتضمن وظيفة الاختصاص، والعناية بالعدد (أربع وعشرين) أكثر من العناية بـ: (الغنم) نفسه.

ب) المسألة الثانية: تقديم المفعول على الفاعل

لاحظ الباحث وقوع تقديم المفعول على الفاعل في تعليق الإمام النووي على قول سيدنا عمر بن الخطاب (دين النصارى دينها). فقوله (دين النصارى) مفعول به مقدم على الفاعل (دينها). وتقديم المفعول على الفاعل من الظواهر الواردة بكثرة في اللغة العربية، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّتْهُنَّ﴾ سورة البقرة: ١٢٤. وجد الباحث التعليق النحوي للتقديم والتأخير في الآية الكريمة: "وفي تقديم اسم إبراهيم عليه السلام ما يدل على تشريف قدره وقرب منزلته من الله تعالى" (الكردي، ٢٠٠٧).

ويرى النحاة أن الأصل أن يأتي الفاعل بعد الفعل كما جاء في أوضح المسالك: "أن الأصل في الترتيب أن يتصل بفعله ثم يجيء المفعول". فتأتي هذه الصورة في ظروف السياق العادية حينما لا يدعو النظم إلى تعديل أو تغيير؛ ولكن قد ينعكس، وقد يتقدمها المفعول، وكل ذلك جائز وواجب (أبن هشام، ١٩٩٧).

وأما توسط المفعول، فهو على أحوال: جواز التوسط نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ﴾ سورة القمر: ٤١، ووجوب التوسط نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

ماء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴿سورة فاطر: ٢٧﴾. وأضاف محمد عيد أن الترتيب الذي يحدث في الجملة يَكُونُ عَنْ الطرف الأخير - المفعول - فهو الذي يترك موضعه ليتوسط أحيانا بين الفعل والفاعل أو ليتقدم عليهما معا (عيد، ١٩٨٩).

حصل الباحث على الشروط الموحية التي وضعها النحاة المحدثين في تقديم المفعول على الفاعل (الحوامدة، ٢٠٠٩)، ومنها: أولاً، إذا لم يحصل التباس في المعنى، وثانياً، إذا اتصل بالفاعل ضمير المفعول نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ سورة البقرة: ١٢٤، وثالثاً، إذا كان الفاعل محصوراً، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ سورة فاطر: ٢٨٠، ورابعاً، إذا كان الفعل اسماً ظاهراً والمفعول به ضميراً متصلاً، نحو (أفادني نصيحتك).

اختصاراً، يرى الباحث أن وقوع تقديم المفعول في قوله (مخالفاً دين النصارى دينها)، يكون بوجود الضمير في الفاعل الذي يعود إلى المفعول به. ويتوقع الباحث أن الفائدة من هذا التقديم تأكيد الاهتمام بالمفعول به وإفادة تخصيصه.

(ج) المسألة الثالثة: تقديم الجار والمجرور على المفعول به.

كما تقدم، ورد تقديم الجار والمجرور على المفعول به، كما في قوله (إنما يجرجر في بطنه نار جهنم)، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ سورة التوبة: ١٠٣، و﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ سورة هود: ٢٦.. فالجار والمجرور (في بطنه) مقدم على المفعول به (نار جهنم)، والجار والمجرور ﴿من أموالهم﴾ مقدم على المفعول به ﴿صدقة﴾، والجار والمجرور ﴿عليكم﴾ مقدم على المفعول به ﴿عذاب﴾.

و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ * ووضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴿سورة الانشراح: ١-٢. ففي الآيتين الكريمتين تقديم الجار والمجرور (لك)، و(عنك) على المفعول به (صدرك)، و(وزرك). والأصل: ألم نشرح صدرك لك، ووضَعْنَا وِزْرَكَ عَنْكَ؛ ولكن قدّم الجار والمجرور لإفادة التكريم والتشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم (السامرائي، ٢٠١٣). وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأُسْفَلِينَ ﴿سورة الصافات: ٩٧-٩٨. ففي الآيتين

الكرمتين، تقديم الجار والمجرور (له)، و(به) على المفعول به (بنينا)، و(كيدا)، أي (ابنونا بنينا له)، و(أرادوا كيدا به). وهذه التقديم لرفع شأن إبراهيم عليه السلام.

ومن هذا المنطلق، يرى الباحث أن تقديم الجار والمجرور في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما يجرجر في بطنه نار جهنم) تبين من ذكر الإمام النووي إعراب قوله (نار) بالنصب والرفع، مع ترجيح الأول على الثاني. والنصب هنا لأنه مفعول به، ويأتي متأخرا عن الجار والمجرور (في بطنه). ويرى الباحث أن هذا التقديم يفيد الاحتقار لشأن من يشرب في آنية الفضة.

وأما قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ سورة التوبة: ١٠٣، فتقديم الجار والمجرور (من أموالهم) على المفعول به (صدقة) لتأكيد الأهتمام بالأموال، لأن الآية الكريمة نزلت لبعض الصحابة الذين تأخروا في الخروج إلى غزوة تابوك، وقد شغلتهم أموالهم. قال ابن عاشور في الآية: "وقد روي أن الذين اعترفوا بذنوبهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: (هذه أموالنا التي بسببها تخلفنا عنك خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا، فقال لهم: لم أؤمر بأن آخذ من أموالكم)، حتى نزلت هذه الآية فأخذ منهم النبي صلى الله عليه وسلم صدقاتهم،" (ابن عاشور، ١٩٨٤) فالضمير عائد على ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ سورة التوبة: ١٠٢. وأما تقديم الجار والمجرور على المفعول به في قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ سورة هود: ٢٦، فيفيد إثارة الذهن، وتحذير السامع.

(د) المسألة الرابعة: تقديم الجار والمجرور على الفاعل.

وجد الباحث إشارة الإمام النووي إلى تقديم الجار والمجرور على الفاعل، وهي غير مباشرة. وذلك في قوله (ومن بلغت عنده من الإبل صدقة الجذعة) (النووي، ٢٠٠٢). ويفيد هذا التقديم تأكيد الاهتمام بالضمير الغائب (هو). والترتيب الأصلي في الجملة الفعلية أن يأتي الفاعل بعد الفعل، وقد يسبقه الجار والمجرور.

وكان تقديم الجار والمجرور على الفاعل في الجملة العربية وارد في القرآن الكريم، كما في قوله ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سورة الحديد: ١. فقال السامرائي

في بيان وظيفته: "التقديم حسب الاهتمام في البلاغة، هل الكلام على الفاعل الآن أو على مستحق التسبيح؟ الكلام على الله وليس على الفاعل لكن يتقدم المفعول على الفاعل لأغراض بلاغية" (السامرائي، ٢٠١٣).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمَسْلَمَ﴾ سورة يس: ٢٠، فوقع تقديم الجار والمجرور على الفاعل، فقال ابن عاشور: "وبهذا يظهر وجه تقديم ﴿من أقصى المدينة﴾ على (رجل) للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة. وأنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصدّهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترفق وعظمة إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة" (ابن عاشور، ١٩٨٤). ويعدّ هذا التقديم نوعاً من التفنن في البلاغة.

٤. الخاتمة.

كما مرت الدراسة لظاهرة التقديم والتأخير من خلال النصوص الفقهية في كتاب المجموع للإمام النووي، فأشارت إلى أنها ترد لقريضة من القرائن المعنوية، وتأتي بأنواع كثيرة مثل تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الجار والمجرور على المفعول، وتقديم المفعول على الفاعل، وغيرها. ودلالات هذه الظاهرة تجعل العبارات عبارة راقية رائعة.

المراجع:

- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن (١٩٩٦م)، شرح ابن عقيل على ألفيه ابن مالك، تحقيق: محمود مصطفى حلاوي، بيروت: دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٢٠٠٦م)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: محمد الإسكندري، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، تونس: الدرا التونسية للنشر، د.ط.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن (١٩٩٦م)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بيروت: دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.

ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف (١٩٩٧م)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: أميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى
الجرجاني، عبد القاهر (٢٠٠٤م)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد عبد المنعم، بيروت: دار الجيل، الطبعة الأولى

حسين، نصرالدين إبراهيم أحمد (٢٠٠٢م)، وجوه الإعجاز في الخطاب الأسلوبي والمعرفي للقرآن الكريم، كوالالمبور: مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الطبعة الأولى
الحوامدة، رحاب شاهر محمد (٢٠٠٩م)، الميسر في قواعد اللغة العربية (النحو)، عمان: دار صفاء، الطبعة الأولى

دوله، حنفي (٢٠٠٠م)، النحو العربي المتقدم لأغراض علمية، سلاجور: ستل جلو (Stilglow)، الطبعة الأولى
سبيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٩٧٧م)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، د.ط

عبد الغني، أيمن أمين (٢٠٠٠م)، النحو الكافي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى
عيد، محمد (١٩٨٩م)، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، القاهرة: عالم الكتب، د.ط

الكردي، عزالدين محمد أمين سليمان (٢٠٠٧م)، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الأولى

معروف، نايف (٢٠٠٢م)، قواعد النحو الوظيفي؛ دراسة وتطبيق، بيروت: دار البيروت المحروسة، الطبعة الثالثة

منير محمود، المسيري (٢٠٠٥)، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، القاهرة: مكتبة وهبة.
النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (٢٠٠٢م)، المجموع شرح المهذب، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى

المواقع الإلكترونية

السامرائي، فاضل صالح (د.ت)، *لمسات بيانية: سورة الحديد*، موقع منتديات ستر تايمز، عنوان

الموقع: (<http://www.startimes.com/f.aspx?t=30652157>)

الشاعر، صالح (د.ت)، *ظاهرة الزيادة في النحو العربي*، موقع الملتقى التربوي، عنوان الموقع:

(<http://www.sef.ps/forum/multka57953/>)